التعريب

(تابع لما قبل)

تقدم لنا في الجزء الخامس عشر كلامٌ مجملٌ في التعريب يتحصل مما نقلنا فيه ان لهم في الالفاظ الدخيلة طريقين احدهما ان تُبدَل الحروف التي ليست من حروفهم باقربها مخرجاً « لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ » وهو المنقول عن سيبويه وجمهور علمآء الادب . والثاني ان تُحكى الكلمات الاعجمية على اصل مخارجها « لئلا تغيّر لغة القوم » وهو ما جآء في كلام ابن خلدون . وظاهر هذين القولين انهما على طرفي نقيض ولكن ليس الامر كذلك لان كلاً منهما خاصٌ بفريقٍ من الالفاظ الدخيلة لا يتناول الفريق الآخر . وذلك ان القول الاول انما هو في الالفاظ الاعجمية التي يراد الحاقها بالاوضاع العربية حتى تصير كأنها منها وهو التعريب بحدّهِ لان هذه الالفاظ لا بدّ ان تكون عُرضةً للتصريف من التثنية والجمع والتصغير ولدخول الالف واللام عليها وغير ذلك فيقبح ان تجري هذه الاحكام المخصوصة بلغة العرب على لفظٍ لا يجانس النطق العربيّ . وهي اكثر ما تكون من اسمآء الاجناس نحو الابريق والاستبرق والديباج والباشق والفيروز والصولجان والبنفسج والدرهم والدينار وما جرى هذا المجرى . والقول الثاني انما هو في الالفاظ الاعجمية التي يراد حكاية لفظها دون التعبير بها عن مدلولها الوضعي ولا قصد الحاقها بالاوضاع العربية وذلك كاسمآء الاعلام التي انما يُعرَف مسمّاها باللفظ الموضوع لتعيينهِ فاذا غُيّر لفظها ذهب منهُ ذلك

التعيين ولم يبقَ سبيلٌ الى معرفة مسمّاهُ . وانظر في هذا الى الاسمآء التي نقلتها العرب عن اللغـات الاعجمية فحرّفتها حتى ان كثيراً منها يشكل ردّهُ الى اصلهِ وكذلك نجد من الاعلام العربية ما غيرتهُ الاعاجم حتى التبس وأحوج الى الاستدلال عليهِ بالقرائن . فمن الاسمآء التي غيرتها العرب نحو يحيى في يوحنـا وقابيل في قايين وعيسى في ايسوس(١) وطالوت في جلْيات وبختنصَّر في نبوخذنصَّر والضحّاك في ده آك ونحو الاشكري في لسكاريس وشمْشقيق في زيميساس وسجسطيلوس في سكستيليس واشبيلية في سفيلاّ او هسپاليس وطُليطلة في تولادا والبندقية في ڤينيسيا وهلمَّ جرًّا . ومما غيّرهُ الاعاجم قولهم اڤرُّوَاي في ابن رُشد واڤيسان في ابن سينآء وأبدَرام في عبد الرحمن وأمُورات في مراد وابولكازيس في ابي القاسم (الزُهري) وأڤنْزُوير في ابن زُهر وألبومازار في ابي معشر والهَمَبْرا في الحمرآء والكازار في القصر والأَلْجري في الجزائر وبَسُّورا في البصرة الى غير ذلك . وقد عثرنا على اسم واحدٍ من اكابر علمآء الهيئة من اهل شمالي افريقيا سمَّوهُ ألپتراج (Alpétrage) لم يتجه لنا ان نردّهُ الى اصلهِ العربيّ وهو فيما ذكروا اول من انكر على بطليموس مسئلة الافلاك المتداخلة بين خارج المركز وتدوير وغير ذلك قيل وقد خطر لهُ رسمٌ للافلاك غير الذي كانوا عليهِ الى عهدهِ ثم لم يوفَّق الى ان يشهرهُ فبقي نسياً

(١) زعم بعضهم ان عيسى مقلوب عن يسوع من باب القلب المكاني بان نقلت العين الى اوله ثم قلبت الواو الفاً في تعليل طويل ليس هنا محلهُ والصواب ما ذكرناه . وايسوس هو تحريف يشوع باليونانية تركوا آخرهُ في التعريب لانهُ من الزيادات العارضة ثم تصرفوا في باقيهِ

منسياً حتى جهر بهِ كوپرنيكس

ويذهب مذهب الأعلام في ذلك الكلمات الاعجمية التي يُقصَد حكاية لفظها عند اهلها دون نقلها الى العربية وادراجها بين الفاظها وذلك كما اذا اردت ان تحكي لفظة التوربيل مثلاً على ما يُنطَق بها في اللغات الافرنجية فلا يجوز ان تقول فيها توربيل ولا تورفيل اذ المقصود تصوير لفظها كما ينطق بهِ اهلها وهي ليست عندهم بالبآء ولا بالفآء فلا بدّ من تصويرها بحرفٍ يُلفظ بين البآء والفآء وهو ما اصطلح الكتاب اليوم على ان يرسموهُ بآءً منقطةً بثلاث نقط على ما سيجيء وبذلك تجري هذه الالفاظ مجرى الاعلام لانها من باب الاعلام اللفظية المعروفة عند النحاة . ولا شك ان ما ذكرناهُ في هذين النوعين هو الذي حدا ابن خلدون على ايجاب تصوير اللفظ الاعجمي بصورتهِ وحينئذٍ فاللفظ لا تعريب فيهِ ولا يسمى معرَّباً وانما هو اعجميٌّ كما سبق التنبيه عليهِ من عبارة المصباح . وكذا ما غيرتهُ العرب من مثل الاعلام التي مرّ ذكرها لا يدخل في باب المعرَّب ايضاً وان غيروا بعض مقاطعه وانما هو اعجميٌّ محرَّف ولا يخرج عنهُ ما جآء فيهِ شيءٌ من شبه التعريب كقولهم الضَحّاك ويحيى وسُليمان ويعقوب وعُزَير وغير ذلك مما وافق اللفظ العربيّ لان المعرَّب هو ما نُقل بمعناهُ وليس المعنى هنا ملحوظاً في شيء من هذه الالفاظ لان الاعلام لا يراد منها مدلولها اللغويّ على ما سبقت الاشارة اليهِ

على ان هذه الاسمآء اليوم من اصعب الاشيآء مراساً على المعرّبين لكثرة ورودها في الكتب والجرائد واضطرارنا الى نقلها في معرَّباتنا ولا تكاد

تجد اسماً منها يتأدى على حقّهِ لكثرة ما يدور فيها من المقاطع التي لا وجود لها في لساننا . واعظمها اشكالاً امر هذه الحركات عندهم التي يعبرون عنها بالاحرف اللينة فان عندهم خلا الحركات الثلاث التي عندنا حركاتِ مركبة يلفظ بها بين بين كالحركة التي بين الضم والفتح (o) والتي بين الكسر والفتح (e) وبين الضم والكسر (u) والجامعة للحركات الثلاث (eu) ولبعضها كيفيات تتشكل بها الحركة الواحدة على انحآءٍ مما ليس عندنا علامةٌ لشيءٍ منهُ . وكنا قد وضعنا لهذه الحركات رموزاً تدل عليها بطاب بعض ارباب المطابع ولا بأس ان نصوّرها في هذا الموضع لعلها توافق استحساناً من اصحاب هذا الشأن فيستعينون بها في مواطن الاشكال ولا سيما في كتب التعليم التي يُقصَد فيها تصوير اللفظ الاعجمي بالحرف العربي فقد وقفنا على عدّة مؤلفات من هذا النوع ولم نكد نرى كلمةً قد صُوّرت على حقّها لانهم يعمدون الى تصويرها بحركاتنا وهي لا تؤدّي لفظها فربما قاربت بعض المقاربة وربما جآءت في نهاية البعد عن الصورة المقصودة

والطريقة التي جرينا عليها في ذلك تقرب من الوجه الذي ذكرهُ ابن خلدون اي ان يعبَّر عن اللفظ المتوسط بين حرفين برسم الحرفين مقترنين حتى يكون اللفظ ممتزجاً منهما فجعلنا علامة الحركة التي بين الضم والفتح (o) مركبةً من ضمةٍ وفتحةٍ مقترنتين هكذا (ُ) والتي بين الكسر والفتح (e) من كسرةٍ وفتحةٍ هكذا (ِ) والتي بين الضم والكسر (u) من ضمةٍ وكسرةٍ هكذا (ُ) والجامعة للحركات الثلاث (eu) بمقارنة الحركات الثلاث هكذا (ُ) . على ان هذا التركيب مما جرى عليهِ الاعاجم انفسهم

ايضاً فانهم قد يعبرون عن الضم الممال الى الفتح بالحرفين اللذين يتركب منهما فيرسمونهُ هكذا (au) وكذا الكسر الممال الى الفتح فانهم قد يعبرون عنهُ بهذين الحرفين (ai) وعلى هذا الاصل بنينا كتابتنا نحو جناي ولِنْراي بالفٍ ويآء بناءً على تركيب هذين الحرفين حتى ينشأ منهما حرفٌ متوسط بينهما فيُلفظ كل ما جآء كذلك من كتابتنا بالامالة لا كما يُلفَظ ناي وفتاي مثلاً . وهذا هو السرّ في اعتمادنا هذه الصورة مما تواترت الينا اسئلة بعض الادبآء عنهُ دون الجري على ما درج عليهِ العامّة وتبعهم فيهِ الخاصّة من كتابة مثل ذلك بيآء وهآء اي بان يكتبوا مثل الكلمتين المذكورتين جنيه ولتريه فان هذا لا يفيد تصوير اللفظ الاصلي لان آخر لتريه مثلاً يجيء على هذه الكتابة كآخر سيبوَيه فلا يكون هناك ما يريدونهُ من الامالة فضلاً عما فيه من زيادة حرفٍ لا وجود لهُ في الاصل وهو الهآء المزيدة آخراً . على انا نجد كل من كتب تراموای مثلاً يكتبها كذلك لا تراموايه ويلفظها بالامالة وهو ولا شك على تركيب الحرفين كما هو في اصل هجآئها الافرنجي ومن هذا ما اصطلح عليهِ في كتابة الباي لباي تونس وحقّ لفظهِ بالامالة لا كما يلفظهُ اكثر الناس بالفٍ ويآء صريحتين

واما سائر الحروف الصحيحة فقد كان ينبغي على مذهب ابن خلدون ان يُكتَب الحرف الذي بين البآء والفآء مثلاً فآء منقوطةً بنقطتين احداهما من اعلى الحرف والثانية من اسفلهِ او يُكتَب بآء منقوطةً كذلك وكذا الحرف الذي بين الفآء والواو ان يُكتَب واواً منقوطةً من اعلاها وكذلك هي تُكتَب في العبرية الا انهم يرسمون النقطة في جوفها

وهو مجرَّد اصطلاحٍ لهم وليس في شيءٍ من الاصل الذي ذكرهُ ابن خلدون . الا ان كتّابنا اصطلحوا ان يرسموا الاول بآءٍ منقوطةً بثلاث نقط والثاني فآءً منقوطة كذلك وهو اصطلاحٌ لا بأس بهِ مع بعدهِ عن الالتباس . وبقي عندنا الجيم التي تلفظ بين الجيم والكاف وهذه منهم من يكتبها غيناً ومنهم من يكتبها كافاً وكلاهما يبعد بها عن اصلها واهل مصر يكتبونها جيماً لموافقتها للفظ الجيم عندهم الا ان هذا انما هو اصطلاحٌ خاصٌّ كما لا يخفى وفيهِ فضلاً عن ذلك ان الجيم عند الافرنج لها لفظان احدهما هذا والآخر ان تلفظ من الشجْر كما في جيرار (Girard) مثلاً وهناك جيمٌ اخرى هي التي في نحو جورنال (journal) وهذه عند من يلفظها جيماً شجريةٌ ابداً وحينئذٍ فلا بد من التمييز بين لفظٍ ولفظ والذي عندنا انهُ ينبغي ان تُرسَم الشجرية منقوطةً بنقطةٍ من اسفل وثلاث نقطٍ من فوق هي نُقَط الشين والتي بين الجيم والكاف يُرسَم فوقها همزة الكاف وفي هذا جريٌ على مصطلح ابن خلدون وان خالفهُ في نفس الرسم على ما مرّ في النقل عنهُ . واما رسم هذه الاخيرة بثلاث نقطٍ من اسفل كما رأيناهُ لبعضهم فغلطٌ لانها حينئذٍ تلفَظ من مقطعٍ مركب من التآء والشين وهو لفظها الفارسي كما في چنبر ونحوهِ (ستأتي البقية)

قيل للصاحب بن عبّاد ما احسن السجع فقال ما خفّ على السمع فقيل لهُ مثل ماذا قال مثل هذا